(8)The Islamic doctrine, the forward doctrine

(٨) المذهب الإسلامية مذهب الامامية

مؤسسه واصول مذهبه وخصائصه

أولاً- مؤسس المذهب:

أسس هذا المذهب الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر، ولد عام ٨٠ هـ وتوفي عام ١٤٨ هـ.

وقد نُسب هذا المذهب إلى جعفر الصادق لوفرة عطائه الفكري بالنسبة إلى بقية الأئمة من أهل البيت، ويعرف هذا المذهب أيضاً بمذهب الإمامية الاثني عشرية في مقابلة المذهبين الشيعيين الآخرين الزيدي والإسماعيلي، اللذين تستمر الإمامة في اعتقادهما متجاوزة الحصر بعدد معين.

وقد نشأ الإمام جعفر الصادق في بيت النبوة في مهد العلم ومعدنه وتلقى العلم عن أبيه محمد الباقر، وعن جده علي زين العابدين.

وهكذا فإن الإمام جعفر ينتسب من جانب أبيه إلى شجرة النبوة، ومن جانب أمه ينتسب إلى أبي بكر الصديق، حيث تزوج جده محمد الباقر بحفيدة أبي بكر.

وكان أبوه الإمام محمد الباقر إماماً للعلماء، راوية لأحاديث آل البيت وأحاديث الصحابة دون تفرقة، وتزوج بحفيدة أبي بكر الصديق. ويروى عن الإمام محمد أنه قال لجابر الجعفي أحد أصحابه: ((يا جابر بلغني أن قوماً من العراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلغهم أني إلى الله بريء منهم، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله عنهما لغافلون)).

وقد التقى الإمام جعفر الصادق بشيوخ العلم في عصره، وعلم ما عندهم ووزنه، وقبل ما قبل منه ورد ما رد، فأخذ عن سفيان الثوري، وابن عينية، كما أخذ عن مالك، وأخذ مالك عنه. وإن أبا حنيفة التقى به واعتبره أعلم الناس ورعاً منه. وكان أبو حنيفة يروي عنه مع أنه في مثل سنه، وألقى عليه أبو حنيفة أربعين مسألة، فأجابه عليها، فقال أبو حنيفة: ((إن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس)) وكان يقصد بذلك الإمام جعفر الذي كان عالماً باختلاف الفقهاء وأدلتهم ومناهج استنباطهم.

ونتيجة لكثرة صلاته بالعلماء أنشأ الإمام جعفر مذهباً جديداً أخذ فيه من كل من المدرستين، مدرسة الحديث ومدرسة الرأي، وأضاف إليهما آراءه الجديدة في الفقه وطرق الاستنباط .

ثانياً- أصول المذهب:

١-يعتمد الشيعة الجعفرية على القرآن الكريم والسنة النبوية، إلا أنهم لا يأخذون إلا بالأحاديث التي رويت عن طريق أئمتهم من أهل البيت لأنهم أعلم الناس. وهم في ذلك يخالفون الشيعة الزيدية الذين يعتبرون عدالة الراوي في قبول الحديث دون النظر إلى مذهبه، كما يقول بذلك بقية المذاهب الإسلامية.

٢-الإجماع: ويأخذ الشيعة الجعفرية بالإجماع، ولكن الإجماع عندهم هو إجماع أئمة أهل البيت، وهو الاتفاق المشتمل على قول الإمام المعصوم. أما إجماع غير أئمتهم فلا يأخذون به، مخالفين في ذلك بقية المذاهب الإسلامية.

٣-القياس: أما القياس فلا يقولون به لأنه رأي، والدين عندهم لا يؤخذ بالرأي، وإنما يؤخذ عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ، وعن طريق

أئمتهم المعصومين. وما دام الإمام معصوماً عن الخطأ باعتقادهم، وأنه مؤيد بالإلهام الصادق من الله ﷻ، فلا حاجة للقياس، فلكل مسألة حكمها عند الله ﷻ، يعرفونه عن طريق أئمتهم المعصومين.

وإذا كان الشيعة الجعفرية لم يعملوا بالقياس فإنهم لا يعملون بالاستحسان من باب أولى لأنه عدول عن القياس.

ثالثاً- أشهر مؤلفات المذهب الجعفري:

كان لفقهاء الشيعة الأسبقية في تدوين الفقه والحديث في تاريخ الفقه الإسلامي، فدونوا لنا مصنفات جليلة القدر امتازت بالعمق، وبعضها بالفقه المقارن، وإن كان يؤخذ على بعضها التعصب المذهبي لعدم الأخذ بما ورد عن غير أئمتهم.

ومن أشهر مؤلفاتهم:

١- الكافي: لأبي جعفر بن يعقوب الكليني.

٢- شرائع الإسلام لجعفر بن الحسن الحلي.

٣- النهاية للإمام الطوسي.

٤- من لا يحضره الفقيه: لأبي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن موسى القمي.

٥- كتاب التهذيب وكتاب الاستبصار لأبي جعفر محمد بن الحسين ابن علي الطوسي.